و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

افهم نفسك

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٩/ ١١ / ١٤٤٤هـ

"افهم نفسك"

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسِنا، ومن سيّئات أعمالِنا، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عليه الصلاة والسلام عبده ورسوله.

" أسأل الله أنْ يسعدَكم في الدّنيا والآخرة" دعاء بدأ به الشيخ سعد الشثري أبو حبيب درسَه، فأعجبتني هذه الدّعوة كثيرًا، فأسأل الله أنْ يسعدَني وإيّاكم في الدّارين.

حديثنا اليوم يدور حول موقفٍ يمرُّ به كلُّ واحدٍ منّا، ولو سألتك: **"هل سبق لك أنْ اتخذت قرارًا، ودرست هذا القرار من كافّة جوانبِه، والتزمت به في حياتك، سواءً بالإتمام أو بالتّقصير"؟**

هل سبق لك أنِ التزمت بقرارٍ لمدة شهرٍ أو ستّة أشهرٍ أو سنة، وبلحظة ضعفٍ ما؛ تلقّيت دعوةً للمشاركة بمناسبةٍ ما، واستسلمت في المرة الأولى، وفي المرة الثانية، وهكذا حتّى نسيت تدريجياً قرارَك الذي اتّخذته سابقًا؟

ولربّما تتغيّر فلا تجدك كما أنت في السنة نفسها، فأنت في شوال مختلفٌ عما كنت عليه في رمضان، أو في مكانك الحالي كنت على حالٍ، وعندما سافرت لمكانٍ آخر اختلفت باختلافه.

إنّ كلّ هذا التّقلّب الذي تشعر به وكأنك شخصٌ مختلفٌ، يجعلك تشعر بعدم فهمك لنفسك، ولهذا نحن نحاول في هذه الدروس فهم أنفسنا، وما يدور فيها، لنجد مفاتيحَ حياتنا، ونتعلّم كيف نعيشها بسلام، والطّريق إلى ذلك بالعودة إلى كتاب الله -عزّ وجلّ- إذ يقول:﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(التوبة:126).

يخبرنا الله -عزّ وجلّ- عن تعرّض النّاسُ لابتلاءاتٍ متكرّرة، فما من أحدٍ يخلو منها، فمنهم من يُبتلى بالسّعادة والرّضا، ومنهم من يبتلى بالأحزان والهموم. فتجد الله تارةً يفتح عليك من الأرزاق والنّعم، وتجد دعواتك مستجابة، وتارةً تشعرُ أنّ كلّ شيءٍ مختلفٌ عمّا كان عليه.

هذه ابتلاءاتُ الله وفتنُ الإنسان،**قال تعالى:**﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أنهم يُفتنون﴾،يصف الله حالَ من يُخطئُ مرةً، ومرتين، وأكثر ثمّ لا يتوب ولا يتعظ من خطئه، ولا يتخذ منه درساً في حياته.

يقول الإمام **ابن الجوزي** -رحمه الله- في كتابه **(صيد الخاطر): " تأمّلتُ النّاسَ وهم يسيرون ويتعثّرون، فرأيتُ أنّ كلّ من تعثّر بشيءٍ، التفتَ له فعلمتُ أنّ النفسَ مجبولةٌ على النّظرِ إلى أخطائِها ".**

ولذلك يجب على الإنسان أنْ يسألَ نفسَه ماذا كانت فتنتي العامَ الماضي؟ ما الفتنةُ التي تعرّضت لها فغيّرت كلّ جوانبِ حياتي؟

وإذا عدنا إلى معنى الفتنة في اللّغة وجدناها مأخوذةً من (فَتْن الذّهب)؛ أي وضَعَه في مكانٍ مشتعلٍ بالنّار، كالتنّور الذي يُخبز فيه الخبز، فيُصهَر حتّى ينفصلُ الذهبُ عن غيره من المعادن الأُخرى التي لا قيمةَ لها.

فالإنسان كالذهب يعرّضه الله لحرارة المصائب؛ ليُخرج الذهب الذي بداخله، لذلك عليه أن يتنبه للفتن المحيطة به من كل جانب وخاصةً في الأشياء التي يحبها ويهواها، والتي تكون له كالهواء الذي يتنفّسه. فعليك أن تتّبعَ الفتن التي اعترضتك، وتراقبَ نفسك، وتحاسبَها وتنظرَ إلى موضع قدميك.

أخبرنا ديننا عن حال النّاس على الصّراط يوم القيامة، وعن قضيّةِ توزُّع الأنوار بينهم، فجهنّم مظلمةٌ، وقد ضُرِب الصّراطُ على نارٍ مُحرقةٍ مُظلمة، والنّاس تمشي على صراطٍ أدقُّ من الشّعرة، وأحدُّ من السّيف، والنّورُ آنذاك ما هو إلّا نور أعمالهم الصّالحة في الدّنيا، فمنهم من نوره كالكوكب، ومنهم من نوره كالقِنديل المُضيء، وآخرونَ نورهم أشدُّ من الشّمس إشعاعًا، فيُلقي الله النّور عليهم على قَدرِ الإيمان في قلوبهم. وهكذا تتوزّع الأنوارُ بينهم بين القوّة والضّعف حتّى لا يكادُ أنْ يكونَ حظُّ الرجل منها إلّا موضعَ إبهامِ قدمه.

قال النبي -عليه **الصلاة والسلام**: "حتّى **يبقى آخرَ النّاسِ مثلُ السّراجِ، فأحيانًا يُضيءُ لهُ، وأحيانًا يخفى عليهِ، فتتفتُ منهُ ".**[1]

يجتمع النّاس على الصّراط منهم من نوره كالشّمس، ومنهم من نوره في إبهام قدمه **" يضيء تارةً وينطفئ تارة"**، فيقول أحدُهم للآخر: **"ألم نكن معكم في زمنٍ واحد؟"** فيقولون: **"بلى، ولكنّكم فَتنتُم أنفسَكم"، يقول الله جل جلاله:﴿**يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾**(الحديد: ١٤).**

كلّنا يعلم أنّ الشّيطان يَفتِنُ الإنسان، وكلُّ ما في الحياة سببٌ في فتنته أيضاً، لكنْ هل خَطَر لك أن تكون أنت سبباً في فتنتِك؟!

[1] أخرجه الطبراني، وصحّحه الألباني.

❖ أسبابُ فتنةِ الإنسانِ لنفسِه:

▪ السّببُ الأوّل: اعتقادُ الإنسانِ بعدمِ وجودِ فتنةٍ أساسًا:

فقد يكون الإنسان غيرَ مبالٍ بأيِّ شيءٍ، لا يعترف بوجود فتنةٍ أصلًا، كالعلاقةِ بين الشّباب والفتيات تحت مسمّى **"زملاء"**، إذ يتكلّمون مع بعضهم، ويخرجون مع بعضهم، وحين تسألهم تَركَ هذه الفتنةِ يبرّرون ذلك بأنّهم مجرّدُ زملاء عمل، أو إخوة، وينفون وجودَ أيّ علاقةٍ خاصّةٍ تربطهم ببعضهم، قد تكون تلك العلاقة بريئةً في البداية، لكنّ الشيطانَ حاضرٌ لم يمت. ومن الممكن أنْ ينظرَ الرّجل للمرأة على أنّها أمّه أو أخته، فإذا دخل بينهما تغيّرتْ تلك النّظرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمْ "[2].

فهؤلاءِ لم يؤمنوا بفتنة الإنسان لنفسِه، وأنكروا كلّ ذلك، فأمهلهم الله تعالى، ثمّ أمهلهم؛ ليعودوا إليه. قال الله تعالى:﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ والله بصيرٌ بما يعملون﴾ **(المائدة:٧١)**.

فالإنسان إذا غلبه هواه لم يعدْ يرى أو يسمع، وهذا ما يحصل معك، ومع أبنائِك في مسألةِ تركِ الأجهزة والألعاب الإلكترونيّة، فدائمًا تحذّرهم من أنّ كثرتَها تَضُرُّ بعقولهم وعيونهم، ولكنْ بلا جدوى، فهم لا يستجيبون لك.

وربّما يتوب هذا الإنسان فيما بعد، فيتوب الله عليه، ثم يعود إلى الذّنب مرّةً أُخرى، فيتوب الله عليه مرّة ثانية، إلّا أنّ استسلامَ الإنسانِ لهواه، واقترافَه المتكرّر للذّنوب، يجعل روحَه ضعيفةً، كالثّوب الذي يُغسل مراتٍ كثيرة، فيصبح رقيقًا باهتَ اللّون، غيرَ صالحٍ للاستخدام، فيُرمى جانبًا، بخلاف الثّوب الجديد المغسولِ مرةً واحدة، محتفظًا بجمالِهِ ورونقِه. فهذا الإسراف في حقِّ أنفسِكم يحرمكم لذّةَ الحياة، ولذّة الإيمان. **يقول الله عز وجل:**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ **(النساء: 137)**.

يحذِّر الله عزَّ وجلّ النّاسَ من الكفرِ بعد الإيمان، أو أنْ يزدادوا كفرًا بعد مغفرة اللهِ لهم؛ كيف يزداد الإنسان كفرًا؟

الجواب، بأن يستسلم للشّيطان، ويسلك طريقَه، ويرفض الإقلاعَ عن الذّنب، بحجّة أنّه لم يستطع، أو أنّ ما يقوم به ليس ذنبًا أساسًا، وأنّ كلّ ما في الحياة مباحٌ له فعلُه، وكلُّ هذا من فتنةِ الإنسانِ لنفسِه.

[2] أخرجه التّرمذي في السّنن، وصحّحه الألباني.

- **السّبب الثّاني: مخافةُ النّاس أشدُّ عنده من مخافةِ اللهِ عزّوجلّ:**

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ (البقرة: 8).

فإذا سألته من تخافُ أكثر، اللهَ عزَ وجلَ أمِ النّاس؟ لقال: **"أنا لا أرى اللهَ، بينما أرى كل من حولي من الناس ومن أقاربي"**، وهذا من اختلالِ موازينِ التّفكير.

قال **(ورقةُ بنُ نَوفَل)** ابنُ عمِّ خديجة -رضي الله عنها- للنبيّ -عليه الصّلاة والسّلام-عندما قصّ عليه حادثةَ نزولِ الوحي في الغار_وكان لِورقةَ شيءٌ من علم الكتاب_ **"لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ"**، عن عائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أنّها قالَتْ: "أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ في النَّوْمِ، فَكانَ لا يَرَى رُؤْيا إلَّا جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إلَيْهِ الخَلاءُ، وكانَ يَخْلُو بغارِ حِراءٍ فَيَتَحَنَّثُ فيه - وهو التَّعَبُّدُ - اللَّيالِيَ ذَواتِ العَدَدِ قَبْلَ أنْ يَنْزِعَ إلى أهْلِهِ، ويَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِها، حتَّى جاءَهُ الحَقُّ وهو في غارِ حِراءٍ، فَجاءَهُ المَلَكُ فقالَ: اقْرَأْ، قالَ: ما أنا بقارِئٍ، قالَ: فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، قُلتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، فَقُلتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ:﴿اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإنْسانَ مِن عَلَقٍ (2) اقْرَأْ ورَبُّكَ الأكْرَمُ﴾ (العلق: 1-3)فَرَجَعَ بها رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَرْجُفُ فُؤادُهُ، فَدَخَلَ علَى خَدِيجَةَ بنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، فقالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حتَّى ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ، فقالَ لِخَدِيجَةَ وأَخْبَرَها الخَبَرَ: لقَدْ خَشِيتُ علَى نَفْسِي فقالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا واللَّهِ مايُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوائِبِ الحَقِّ، فانْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حتَّى أتَتْ به ورَقَةَ بنَ نَوْفَلِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وكانَ امْرَأً تَنَصَّرَ في الجاهِلِيَّةِ، وكانَ يَكْتُبُ الكِتابَ العِبْرانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإنْجِيلِ بالعِبْرانِيَّةِ ماشاءَ اللَّهُ أنْ يَكْتُبَ، وكانَ شيخًا كَبِيرًا قدْ عَمِيَ، فقالَتْ له خَدِيجَةُ: يا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيكَ، فقالَ له ورَقَةُ: يا ابْنَ أخِي ماذا تَرَى؟ فأخْبَرَهُ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَبَرَ ما رَأَى، فقالَ له ورَقَةُ: هذا النَّامُوسُ الذي نَزَّلَ اللَّهُ علَى مُوسَى، يالَيْتَنِي فيها جَذَعًا، لَيْتَنِي أكُونُ حَيًّا إذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ، قالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الوَحْيُ."[3]

قال ورقة: **ليتني أعودُ شابًا عندما يخرجُك قومُك من مكّة، فأنصرُك نصرًا مُؤزّرًا.**

فيسأله النّبيُّ -عليه الصّلاة والسّلام-: **" أَوَ مُخرِجِيَّ هُم؟ "**، تخيّل معي! أربعون عامًا عُرِف بين قومه بالصّادق الأمين، احتكموا إليه في حادثةِ وضعِ الحجرِ الأسود عندما بنوا الكعبة، ائتمنوهُ على أموالِهم وأماناتِهم قبل هجرته، لكنّه عندما قال: لا إلهَ إلّا اللهُ، موحّدًا متّبعًا الدّين الحقّ أنكروه، وكذّبوه. كلُّ تلك السّنين والنّبي بينهم، لم يسمعوا عنه كذبًا قطّ، فلمّا جاءهم بما يكرهون، لم يتركوا وصفًا سيئًا إلّا ونعتوهُ به، فقالوا: ساحرٌ، كاذبٌ، ومجنون، وأخرجوه من

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، وصحّحه الألباني.

دياره وهذه سُنّة من جاؤوا قبلَه.

فما من أحدٍ اختارَ طريقَ الله إلّا وأُوذي في نفسه وولده، فعليه ألّا يخاف، وليثبتْ، فهو على الحقّ.ولذلك **قال الله - عزّ وجلّ- عن اليهودِ لمّا آمنوا:** (فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ) **(يونس: 83).**

فاتبعْ ما يُريده الله، وثِقْ بما أنت مُقدمٌ عليه، وأجرك على الله، ولا تخفْ أذيّة النّاس، فالذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوّلِ الدّعوة، ووقفوا أمامه بالسّيوف في بدر، كعِكرمة بن أبي جهل، وخالدِ بن الوليد، وغيرِهم، أصبحوا فيما بعد جندًا من جنودِه.

- **<u>السّبب الثالث: عدم طهر القلب، وتلوثه بقذارة الدنيا:</u>**

يَفتن الإنسان نفسه حينما لا يكون قلبه طاهراً نظيفاً، بل معلقاً بتفاهات الحياة وآثامها، من حسد وكبر وغيبة ونميمة، وهوى النفس، وخواطر السوء، وغيرها. **يقول الله تعالى:** ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾**(المائدة: 41).**

كالمدخن الذي يتناول سُمًا وهو لا يدري، فهو عندما يدخن يفعل ذلك أمام الجميع، لكن أفعالاً كثيرة يقوم بها الإنسان ولا يعلمها إلا الله عز وجل، وصعبٌ جداً أن تحاول إقناع أحد ما بترك شيء معين، وهو لا يريد المحاولة، لأن ذلك مضيعة للوقت والجهد. فتخيل أننا لا نرى هذه القذارة التي بقلوبنا، ومن رحمة الله بنا أن أغلق عليها، فلا أحد داخلٌ في الآخر، إلا أن الله تعالى يراه ويعلم السر وأخفى.

- **<u>السّبب الرّابع: التّلاعب في دين الله:</u>**

يقول الله-عزّوجلّ-يصفُ كتابه الكريم: ﴿آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ **(آل عمران: 7)**،فهؤلاء زاغتْ قلوبهم فتركوا المُحكم من الآيات، وأخذوا ما تشابه منه، ليفتنوا النّاس به، فالتّلاعب في دين الله يكون بأخذ شيءٍ وتركِ شيء، فهذا أعجبك، وذلك لم يعجبك، **قال تعالى:**﴿أفتؤمنون ببعض الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾**(البقرة : 85).**

إلّا أن الذين دخلوا الإسلام ويؤمنون بالله، فسؤالهم الوحيد ماذا يريد الله منهم؟ كيف يُرضون الله تعالى؟ ذلك لما في قلوبهم من شوقٍ ولهفةٍ لطاعةِ الله وكسبِ رضاه، لا يهتمّون بمسائلِ الخلاف بين العلماء، بخلاف أولئك الذين يفتحون أعينَهم على الإسلام، يتلاعبون بالدين، ويتّبعون أهواءَهم فيه، إلا من رحم ربّي.

تلا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- **قول الله جل جلاله:** ﴿هو الذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ منه آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فأمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ منه ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلَّا اللَّهُ، وَالرَّاسِخُونَ في العِلْمِ يقولونَ آمَنَّا به كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنَا، وَما يَذَّكَّرُ إلَّا أُولو الأَلْبَابِ﴾ **(آل عمران: 7).**

قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:"إذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ منه، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ"[4]

ففي مجتمعاتنا _للأسف_ من وصفهم الله في الآية السابقة بأنّهم يتّبعون الآيات المتشابهة، ويؤلّفون كلامًا غريبًا لا أساسَ له من الصّحة، يبحثون من خلاله عن فتاوى باطلةٍ يكون لهم فيها مخرجٌ لأهوائهم، وحُججٌ لأفعالهم الحرام، فيُحلّون الخَمر، والزّنى **(إذا كان بالتراضي بين الطرفين)**، والأمثلةُ على ذلك كثيرةٌ لا تنتهي، ومع الأسف؛ فإنّ هؤلاء يُسمَّوْن عند بعضهم شيوخًا أو مفكّرينَ إسلاميّين. وإذا كانوا قد تجرّؤوا على تحليل الأمور العظيمة؛ فما بالك بالأمور الأصغر منها؟ فهذا هو اللّعب في الدين بعينه، وهو نوعٌ من أنواع الفتنة.

ومن أكثر ما يتلاعب به الإنسان**(الوضوء)**؛ فبعضهم _خاصّة النّساء_ تمسح أعضاءَها بالماء مسحًا؛ كي لا تفسد زينتَها**(المكياج)**، كما أنّها لا تسبغ الوضوء على كل أعضائِها بسبب وجود ما يمنع ذلك، كطلاء الأظافر.

وبعضهم يَهدر كمياتٍ كبيرةٍ من المياه، مع العلم أنّ رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ ب (مُدّ)، وكان يُسبغ وضوءه على كلّ أعضائه، وبعضهم يقع في وسوسةٍ باستمرار في مسألة إسباغ ماء الوضوء على كل أعضائه، فديننا دينٌ وسط، ولا داعي للإفراطِ أو اللّعب فيه.

- **<u>السّبب الخامس: ضَعفُ الإنسان وعدمُ ثقتِه بنفسِه:</u>**

وبعضهم يُفتَن عند رؤيته لشخصٍ آخر واقعًا في فتنةٍ معينةٍ، فيتم استجرارهم بسهولة، ولا يستطيعون المقاومة، ذلك لأنّهم ضُعفاء الشخصيّة، عُدماء الثّقة بالنّفس، دعونا نرى الفرق بينهم وبين الفئة السابقة:

يقول الله عز وجل عن المنافقين:﴿ومنهم من يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ **(التوبة:49).**

هذه الآية العظيمة تتحدّثُ عن المنافقين الذين يطلبون الإذن من محمّد -عليه الصلاة والسلام- لكي يتخلّفوا عن

[4] أخرجه مسلم في صحيحه.

الجهاد، بحُجّة أنّهم يخشَون على أنفسهم الافتتانَ بنساء الرّوم الشّقراوات والبيضاوات، فيقول الله تعالى مُعقّباً على كلامهم:**"ألا في الفتنة سقطوا"**، فلا تجعلِ الشّيطان يوسوس لك من مثل هذه الأبواب، فيمكن للإنسان أنْ يجاهدَ في سبيل الله ويحصّنَ نفسه بنفس الوقت، ولا تجعل الشّيطان يسيطر عليك ليُشعرَك أنّك ضعيفٌ ومهزوز.

يقول الله جل جلاله: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا**}(النساء: 110)**، فلا تظنّ أنّ أيّ سوءٍ تقع فيه هو نهاية الدنيا لأنّ المخرج منه _بإذن الله_ أنْ تستغفر ربّك العظيم.

فكن قويًا ولا تسمح لنفسك إذا رأيت منكرًا أو فاحشةً أنْ تنساقَ وراءها، وتصطحب معها أهلها، وأغلقِ الأبواب جيّدًا بوجه شيطانك الذي يوسوس لك أنّك لن تستطيعَ التّصدي للفتن، وأنّك معذورٌ إن سقطت في فتنةٍ حولك.

- **السّبب السّادس: رغبة بعض الناس بالفتنة:**

يقول الحقُّ جل جلاله: {وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا**} (الأحزاب: 14)**، والكلام عن المنافقين الذين يرغبون أن يُفتَنوا، فهؤلاء متشوّقون للفتنة، وأولُّ ما تلوح لهم بالأفق فلن يترددوا ولن يجاهدوا أنفسهم في التّصدّي لها، فالمُسبّب للفتنة _هنا_ **(النّفس)** المحبّة للفتن، قبل الشيطان وقبل النّاس الآخرين.

- **السّبب السّابع: النّظر إلى ما عند الخلق:**

يقول الله سبحانه وتعالى: {ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ**} (طه: ١٣١)**، وهذه مشكلةٌ شائعةٌ جدًا؛ وهي النظر إلى ما عندَ غيره من ممتلكاتٍ وأرزاقٍ وجمالٍ وقدراتٍ ونِعَم... إلخ، فهذا ممّا يُوقِع صاحبه بالفتنة، ويعرّض الإنسانَ لكبيرةٍ من الكبائر وهي **(الحَسَد)**، فيجب على الإنسان أنْ يستبدلَ تمنّيه لمتاع النّاس بالخير الذي عنده من الله سواءً في الدنيا أو في الآخرة.

يقول الله جل جلاله: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**}**

(القصص:٨٣)، فلا تلتفتْ للدنيا، واطرحها من قلبك.

الخليفة الأمويّ (**عمرُ بن عبدِ العزيز**) الذي امتدّ ملكه من الغرب إلى حدود الصّين شرقًا؛ كان زاهدًا لا يغريه شيء، وكان إذا تكلّمن معه بناته وضعن أيديهن على أفواههن، فيسأل أمّهن عن السّبب، فتقول: ليس في البيت طعامٌ إلّا البصل، فيبكي عمر. وما إن مات -رضي عنه- إلّا وفتحَ الله على أولاده من بعده، تقول زوجته أنّه

عند موته كان يردّد **قوله تعالى:** ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ **(القصص:٨٣).**

وهذا _والله_ درسٌ عظيمٌ في عدم النّظر إلى ما عند الآخرين.

وإذا كان لا بدّ أن تنظر إلى النّاس؛ فلتنظر إلى من هم دونك، فقد يكون لديك طعامٌ وماء، وغيرك لا، وأنت تمشي على قدميك، وتسمعُ وتبصر، وغيرك لا، وأنت تعيش في أمانٍ تامٍّ، وغيرك يعيش في حربٍ فتّاكة... إلخ.

وأُحذّرُ بشدّةٍ عدمَ تطبيق هذا المفهوم على المعاصي؛ فلا تقل أنا أفضل من غيري؛ أعصي الله بالتّدخين ولا أعصيه بالخمر، أو تقول: أنا أفضل من غيري، أشرب الخمر ولا أتعاطى المخدّرات، فتبيح لنفسك ما لم يبحه الله. والتي لا تلبس لباسًا شرعيًا تقول: أنا أفضل من فلانةٍ، فأنا غير ملتزمة في لباسي لكنني لا أزني...

فخلاصة القول: انظر في أمور دينك لمن هم أعلى منك، وانظر في أمور دنياك لمن هم دونك، تكن من المتّقين -بإذن الله-.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (34) وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ **(الزخرف: 33-35)،**

فلولا أنْ يكونَ الناس جماعةً واحدةً على الكفر، لجعل الله لمن يكفر به سُقُفًا من فِضّة وسلالمَ يصعدون عليها، ولبيوتهم أبوابًا من فضة، وسُرُرًا يتّكئون عليها، ولجعل لهم ذهبًا، وما كل ذلك إلّا متاعٌ قليلٌ زائل، ونعيمُ الآخرة مُدَّخَر عند ربّك للمتّقين لا سواهم.

وفي قصة الأقرع والأبرص والأعمى، خير مثال لوقوع الإنسان في الفتن، الثّلاثة ابتلاهم الله، فابتُلِي أحدُهم بالقَرَع والثّاني بالبَرَص والثّالث بالعَمَى، **يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنَّ ثَلاثَةً في بَنِي إسْرائِيلَ: أبْرَصَ، وأقْرَعَ، وأعْمَى، فأرادَ اللَّهُ أنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إليهِم مَلَكًا، فأتَى الأبْرَصَ، فقالَ: أيُّ شيءٍ أحَبُّ إلَيْكَ؟ قالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وجِلْدٌ حَسَنٌ، ويَذْهَبُ عَنِّي الذي قدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عنْه قَذَرُهُ، وأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وجِلْدًا حَسَنًا، قالَ: فأيُّ المالِ أحَبُّ إلَيْكَ؟ قالَ: الإبِلُ، أوْ قالَ البَقَرُ، شَكَّ إسْحاقُ، إلَّا أنَّ الأبْرَصَ، أوِ الأقْرَعَ، قالَ أحَدُهُما: الإبِلُ، وقالَ الآخَرُ: البَقَرُ، قالَ: فَأُعْطِيَ ناقَةً عُشَراءَ، فقالَ: بارَكَ اللَّهُ لكَ فيها "**[5]

أوّل أمرٍ يجب أنْ تتنبّه إليه-عند قراءة هذه القصة-قوله -عليه الصّلاة والسّلام-: **"أرادَ اللَّهُ أنْ يبتلِيَهم".**

ربّما تسأل نفسك: أو ليسوا مبتَلَين بالقَرَع والبَرَص والعَمَى؟

الجواب: بلى، ولكن هذه ابتلاءاتٌ جسديّة، فشاءَ الله تعالى أنْ يبتليَهم في دينهم، وهذه الابتلاءات هي الامتحان

[5] أخرجه مسلم في صحيحه.

الحقيقيّ للإنسان. فبعث الله تعالى لهم ملَكاً على هيئة بشر، وسألهم عن حاجاتهم، فعافى كلًا منهم بجسده، وعلاوةً على ذلك جعلهم من أصحاب المال فوهبهم الغنم والإبل والبقر. وبعد سنةٍ رجع المَلَك إلى الرّجل الذي كان فيما كان أبرصَ، وجاءه على هيئة رجلٍ أبرصَ فقير؛ فقال له: **"أعطني مما أعطاك الله، فإنّ بي مثلما كان بك"**، فقال الذي كان أبرصَ: **"إنّما ورثتُه كابرًا عن كابر"!!**، ورفض أن يعطيَه شيئًا، وكذلك كان ردُّ الأقرع، ولم يجتزِ الاختبار إلا الأعمى، الذي أجاب المَلَك الذي على هيئة رجلٍ فقيرٍ عندما سأله أن يتصدّقَ عليه: **"نعم، كذلك كنت، فخُذْ من هذا الوادي ما تشاء"**.

لاحظوا هنا؛ عندما كانوا يعانون من ابتلاءاتٍ جسدية كانوا صابرين، وعندما آتاهم الله من نعيمِ الدّنيا وبسط لهم الرّزق تغيّرت نفوسهم، وكذلك حال الناس _إلّا من رَحِمَ ربّي_ فمثل هذه الاختبارات التي يَبتلي الله بها عباده هي _في الحقيقة_ **فتنةٌ**، قد يسقط فيها الإنسان كالأبرصِ والأقرع، وقد ينجو منها كالأعمى.

- **السّبب الثّامن: عدوّ الله الشّيطان:**

يقول الله جل جلاله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ **(الأعراف:٢٧)**.

سنقف _هنا_ عند **نقطتين:**

•**الأولى:** إذا أوقع الشّيطان الإنسانَ في معصيةٍ ما، لا يشعره بالذّنب والخطأ، بل بالغرور، يقول الحق جل جلاله - عندما أغوى الشيطانُ**(آدم وحواء)** وجعلهما يأكلان من الشّجرة التي نُهيا أن يأكلا منها-: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ **(الأعراف: 22)**. فالشّيطان يحرِص كلّ الحِرص على أن تشعرَ بالغرور؛ لأنّ الشعور بالذنب يجعلك تُتبِع الذّنب بتوبة.

•**الثّانية:** إذا أوقعك الشّيطان في معصية ما؛ حوَّلك إلى شخصٍ ذليل. وأذكرُ -في هذا السياق- قولًا لأحد السّلف مُعلّقًا به على الملوك الذين يتبخترون بعرباتهم: **"إنّهم -وإن طَقْطَقَتْ بهم البرادين- إلّا أنّ ذُلّ المعصية بين أعينهم"**،والبرادين: عجلات العربة. فالله يذلُّ كلّ من يعصيه، وإن رأيته للوهلة الأولى عزيزَ المظهر.

ويقول **الإمام ابن القيّم**-رحمه الله-: " إنّ الشّيطان يّشْأَم النّفس "، فيرى أيّ القوّتين أقرب إليك؛ قوّةُ الإقدام أم قوّةُ الإحجام؟ ويزيّنها لك، فإذا رآك متحمسًا لعبادةٍ ما، ومندفعًا إليها بقوة، ثَبّطك عنها، وأضعف عزيمتك، وإذا رآك ممتنعًا عن معصيةٍ ما حَبَّبَها لك حتّى تقعَ فيها.

يقول الله تعالى عن البشر الصّغار الأذلّاء الذين كانوا يتّبِعون سادتَهم وكبراءَهم: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ **(سبأ: 31)**، فيردّ عليهم كبراؤهم، قال تعالى:﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ **(سبأ: 32)**، فيتبرّأُ المتبوعون من التّابعين، ولا ينفعونهم مثقال ذرّةٍ يوم الحساب.

فإيّاك عندما يستدرجُك الشّيطان إلى الشّرّ والمعصية أنْ تتبجّح وتُقدّمَ الأعذار، فلا تَلُمْ أحدًا، بل نفسك لُم، إذ عَرّضْتَها للشّيطان الذي **قال عنه ربُّ العزّة والجلالة:** ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ **(فاطر:6)**

وأستشهدُ _في هذا السياق_ بقصّة أبي طالبٍ عمّ النبي صلى الله عليه وسلم، في آخر لحظات حياته، جاء في الحديث: "أنَّ أبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، دَخَلَ عليه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وعِنْدَهُ أبو جَهْلٍ، فَقَالَ: "أيْ عَمِّ، قُلْ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لكَ بهَا عِنْدَ اللَّهِ". فَقَالَ أبو جَهْلٍ وعَبْدُ اللَّهِ بنُ أبِي أُمَيَّةَ: "يا أبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عن مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ!" فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ، حتَّى قَالَ آخِرَ شَيءٍ كَلَّمَهُمْ بهِ: "علَى مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ"، فَقَالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ما لَمْ أُنْهَ عنْه". **فَنَزَل قوله تعالى:** ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ **(التوبة:113). ونَزَلَ قوله تعالى:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ **(القصص: 56)**"[6].

فالنبي -عليه الصّلاة والسّلام- يلقّن عمّه أبا طالب لا إله إلّا الله، وأبو جهل، وعبد الله بنُ أبي أُميّة بجانبه، يقولان له: **"لا تفارقْ دين آبائك"**،لقد كان أبو طالبٍ مصدّقًا لما جاء به محمّد -عليه الصّلاة والسّلام-، لكنّه أبى أنْ يدخلَ الإسلامَ، لئلّا يُقال: إنّ الأكابر اتبعوا الأصاغِر، وأخبرنا أهل العلم أنّ أبا طالبٍ _يوم القيامة_ توضع تحت قدمه جمرةٌ من نار يغلي منها دماغه، مع العلم أنه أخفّ النّاس عذاباً؛ لنصرته النّبي صلى الله عليه وسلم. فهل نفعوه الأكابر؟

❖ علاجُ الفتنة:

يكمنُ العلاج في آيةٍ واحدة، **قال الله جل جلاله:** ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **(النحل: 110)**.

فاللهُ غفورٌ رحيم، قدّم لنا وصفةً علاجيّة، عندما وعدنا بالمغفرة، ولكي يشملك ذلك الوعد العظيم؛ يجب أنْ تهجرَ مكان الذّنب والمعصية، وهذه أولى الخطوات.

فمن منا لا يعرف قصّة السّفاح الذي قتل تسعًا وتسعين نفسًا، ثم تاقت نفسه للتّوبة، فذهب لرجلٍ عابدٍ وقال له: **"أريد أن أتوب فهل لي من توبة؟"**، ثمّ ذهب لأحدِ العلماء، وقال له: **"قتلتُ مائة نفس، فهل لي من توبة؟"**، فقال له العالم: **"وما الذي يحول دونك ودون التّوبة؟ فالله إنما جعل التوبة لأصحاب الذنب والمعصية"**، لكنّه دلّه على الطريق، وأخبره أنْ يخرجَ من أرضه فإنّها أرضُ سوء، وأنْ يذهبَ إلى أرضِ فلان، فإنّ فيها قومًا صالحين.

[6] أخرجه البخاري في صحيحه.

نستنتج من هذه القصّة أنّ **كلّ مذنبٍ لا يمكنه تغييرُ نفسه، والرّجوع عن ذنبه ما لم يغيّر وسَطَه ومن يحيطه من رفاقِ السّوء، وأنْ يعي الإنسان حقيقةَ هذه النّقلة في حياته، فلا يجلبُ معه أيّ شيءٍ متعلّقٍ بالذّنب الذي أقلع عنه.**

قال طارق بن عبدالله رأيتُ رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ يَمُرُّ في سوقِ ذي المَجازِ وعليهِ حلّةٌ حمراءُ وَهوَ يقولُ: أيُّها النّاسُ قولوا لا إلَهَ إلّا اللّهُ تُفلِحوا ورجلٌ يتّبعُهُ ويَرميهِ بالحجارةِ وقد أدمى كعبَهُ وعُرقوبَهُ وَهوَ يقولُ يا أيُّها النّاسُ لا تُطيعوهُ فإنّهُ كذّابٌ فقُلتُ مَن هذا فَقالوا إنه غلامُ بَني عبدِ المطّلِبِ فقُلتُ مَن هذا الّذي يتّبعُهُ ويرميهِ بالحِجارةِ فقالوا عَبدُ العُزّى أبو لَهبٍ، اخرجه ابن الملقن في البدر المنير[7].

كان المشركون يفهمون النبي-عليه الصّلاة والسّلام- حقّ الفَهم عندما كان يقول لهم: **"قولوا: لا إلة إلّا الله تُفلحوا"**،وكانوا يؤمنون بأنّ الكعبةَ التي يعظّمونها هي بيتُ الله، فهم يؤمنون بوجودِ الله، وعلى الرّغم من إيمانهم بالله رفضوا أنْ يأتمروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه، يريدون أن يضعوا الأحكام والقوانين، وِفق أهوائِهم، ومصالِحهم، وشهواتِهم. لقد كانوا يعونَ أنّ دين الإسلام **نقلةٌ** لا تناسبهم، فحاربوا محمّدًا -عليه الصّلاة والسّلام- بكلّ إمكاناتهم لمنعِ تلك النّقلة.

أمّا الصّحابة -رِضوان الله عليهم-فقد كانوا منبهرين بتلك النّقلة، فبمجرّد دخولِهم الإسلام خلعوا لباس الجاهلية وكلّ شيءٍ يربطهم بالمعاصي القديمة، ولبسوا لباس الإسلام، وهذا التّغيير ليس سهلًا، خاصّةً بعد عَشَرات السّنين، التي قضوها مع الذّنوب والتي قد أصبحت جزءًا لا يتجزّأ من حياتهم، لكنّهم _ومعَ ذلك كلّه_ رمَوا بها عرض الحائط عندما علموا ما يريده الله وما لا يريده.

يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُوا وصبروا﴾ (النّحل: 110)،

وأذكر مثالًا: إنسانٌ يستمع إلى الأغاني ويطرَب لها، فقرّرَ أنْ يتوبَ، ويُقلِعَ عنها بعدما تيقّنَ أنّها تُغضِبُ الله عزّ وجلّ، فهل سيكون هذا الإقلاعُ سهلًا، أم أنّه يحتاج إلى مجاهدة النّفس أيّما جهاد؟!

فلا بُدّ من الجهاد دومًا، والطّريق ليس مفروشًا بالورود.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الشَّيطانَ قعدَ لابنِ آدمَ بأطرُقِهِ ، فقعدَ لَهُ بطريقِ الإسلامِ ، فقالَ : تُسلمُ وتذرُ دينَكَ ودينَ آبائِكَ وآباءِ أبيكَ ، فعَصاهُ فأسلمَ ، ثمَّ قعدَ لَهُ بطريقِ الهجرةِ ، فقالَ : تُهاجرُ وتدَعُ أرضَكَ وسماءَكَ ، وإنَّما مثلُ المُهاجرِ كمَثلِ الفرسِ في الطِّولِ ، فعَصاهُ فَهاجرَ ، ثمَّ قعدَ لَهُ بطريقِ الجِهادِ ، فقالَ : تُجاهدُ فَهوَ جَهْدُ النَّفسِ والمالِ ، فتُقاتلُ فتُقتلَ ، فتُنكَحُ المرأةُ ، ويُقسَمُ المالُ ، فعصاهُ فجاهدَ ، فقالَ رسولُ اللَّهِ : فمَن فعلَ ذلِكَ

[7] صحّحه الألباني.

كانَ حقًّا على اللَّهِ عزَّ وجلَّ أن يُدْخِلَهُ الجنَّة ، ومن قُتِلَ كانَ حقًّا على اللَّهِ عزَّ وجلَّ أن يُدْخِلَهُ الجنَّة ، وإن غرِقَ كانَ حقًّا على اللَّهِ أن يُدْخِلَهُ الجنَّة ، أو وقصتهُ دابَّتُهُ كانَ حقًّا على اللَّهِ أن يُدْخِلَهُ الجنَّة"[8].

ولذلك **قال النبي -عليه الصّلاة والسّلام-: إنَّ الشَّيطانَ قعد لابنِ آدمَ في أطرقِه كلِّها**، فالشّيطان متربّص بالإنسان في كلّ زمانٍ ومكان، فقعدَ له في طريق الإسلام، فقال: **تُسلِمُ وتترك دينَك ودينَ آبائِك؟** ثمّ جلس له في طريقِ الهجرةِ، **فقال: أتترك أرضَك وسماءَك؟** أي: تترك بلادك التي نشأتَ فيها؟ ثمَّ قعد له في طريقِ الجهادِ، فقال له: **أتجاهد بنفسك، فتُقتل؟** يريد أنْ يخدعَ الإنسان ويمنعَه من الجهاد فيقدِّمُ له أسبابًا قويةً: ستموت ويُيتّم أبناؤك، وتتزوَّج زوجتك برجلٍ غيرك، فمتى وجدك تطلب رضا الله تدخّلَ ليمنعك، فإمّا أن تلتزمَ بمجاهدة نفسك، وإلّا غلبك.

عندما تخلّف **(كعبُ بن مالكٍ)** عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ تبِعَه غيرُه من المنافقين، ورجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعتذرون عن الجهاد، فقال صلى الله عليه وسلم: " يغفر الله لكم " فقال كعب: " واللَّهِ، لقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليومَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى به عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، ولَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إنِّي لَأَرْجُو فيه عَفْوَ اللَّهِ، لا واللَّهِ، ما كانَ لي مِن عُذْرٍ، واللَّهِ ما كُنْتُ قَطُّ أقْوَى، ولَا أيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أمَّا هذا فقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ... "[9].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَـٰهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِهَا لَغَفُور رَّحِيم﴾ **(النّحل: 119).**

فكعبٌ اعتذر للنّبيّ بعذرٍ صادقٍ، فجاء أصحابه يعاتبونه أنّه لم يُقدّم عذراً كاذبًا مثل البقية، فيقول كعب: **"ما زالوا بي حتى هممتُ أنْ أرجعَ إلى النبي وأُكذِّبَ نفسي، لكنّ اللهَ عصمني".**

وعوقِبَ كعبٌ بهجرانه خمسينَ يومًا، حتى تنكّرتْ له الأرض، لك أنْ تتخيّل صعوبة الموقف؛ الرّسول والصّحابة لا يكلّمونه ولا ينظرون إليه، فهذا العقاب دفعه ثمنًا لصدقه، بعدما ظن _مخطئًا_ أنّه سيُكافأُ عليه.

وبعد ذلك جاءته رسالةٌ من ملك الغساسنة _وكانت تربطهما معرفةٌ مسبقة_ تقول: "قد بلغنا أن صاحبك قد قلاك، ولستَ أنت في هذا الحال، فالحقّ بنا نواسيك"، فلما قرأها كعبٌ _وكان بجانب التنّور_ أحرقها.

---

[8] أخرجه النّسائي في سننه، وصحّحه الألباني.

[9] أخرجه البخاري في صحيحه.

وفي ليلةٍ من الليالي تسلّق كعب جدار بيت ابن عمه _وكان من أحب الناس إليه_ يقول كعب: **"فلما رآني أشاح بوجهه،[10]فجئت في وجهه وقلت: أُنشدك الله هل تعلم أن أحب الله ورسوله؟ قال: "الله ورسوله أعلم"**،يقول كعب معقّباً على هذه الحادثة: "فكانت من أشد اللحظات علي"، فلم يلبث بعدها إلا أن جاءه الفرج ، **قال تعالى:** ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (118) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ **(التّوبَة: 118- ١١٩).**

يقول كعب: "يا رسول الله والله ما أنجاني الله إلّا بالصّدق، ولكنّ الآن مع النّاس الذين سمّاهم الله هلكوا مع الهالكين، فمن توبتي ألا أقول إلا الصدق".

أعود وأكرر؛ الطّريق إلى ربّ العزّة يحتاج إلى عملٍ ومثابرة، وعزيمةٍ قويّة، وإلى صبرٍ حقيقيّ، فمن أجل الوصول لا بدّ أنْ تهجرَ كلّ ما يغضِب الباري عزّ وجلّ، وتتركَ كلّ ما تحبّه نفسك إنْ كان الله تعالى كَرِهَه لها، أمّا من يصل لمرحلةٍ لا يشعرُ فيها بمرارةِ وصعوبةِ الجهاد فطوبى له، يقول الإمام ابن القيّم-رحمه الله-: **"والله لا يجد مرارة الترك من ترك شيئاً لله"**، فأنتَ عندما تترك شيئاً لوجه الله سيعينك عليه ويحبّب إليك تركه.

ولتحقيق كلّ ذلك؛ لابدّ لك أن تتصدّى لشياطين الجنّ والإنس، وللنفس الأمّارة بالسّوء، وأنْ تستعينَ بالله وتطلبَ منه أنْ يعينَك، ويمدَّك بالصَبر. يقول الله تعالى: ﴿**اصْبِرُوا وصَابِرُوا**﴾، ويقول أيضاً: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغفُورٌ رَحِيم**﴾، **يقول الإمام ابن القيم-رحمه الله-:"نحن _وإن صبرنا_ فهل حقّقنا مقام الصّبر على الصّبر؟"**

فاسعَوا إلى ربّكم الرّحيم، الذي وعدنا في الحديث القُدسي: " وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، "[11]ولا تلتفتْ يمنةً ويسرة، وبادرْ بخطوتك الأولى إلى ربّك، وستجده معك في كلّ مكانٍ وزمان.

وفي الختام؛ تحدثنا عن ثمانِ نقاط من فتنة الإنسان لنفسه، راجعها في خلواتك، وحدّد أين تكمن المشكلة.

سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أنْ لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. وأسأل الله تعالى أنْ يجعلَنا ممّن غفرَ لهم ورحِمهم.

والحمد لله ربِّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرفِ الأنبياء والمرسلين نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها.

[11]أخرجه مسلم، صحيح.